دلالات اللـــون في شعـــر "خليل مطران" الرومانسي

إعـــداد الباحثـــة/ مـــنى ســـامي حامـــد غـــريب

المستـــخلـــص

هدفت الدراسة إلى التعرف على دلالات اللـــون في شـــعر خليـــل مطـــران الرومانســـي، وتوصلت الدراسة إلى أن الشاعر خليل مطران كان يستخدم الألوان حسب مـــا تـــوحي بـــه مـــن دلالات إيجابية أو سلبية في شعره الرومانسي، حيث يستخدم اللون الأبـــيض للتعـــبير عـــن الجمـــال ونقاء العرض، وصفاء السريرة، وذلك من خلال وصف المـــرأة بالبيـــاض، كمـــا اســـتخدم اللـــون الأبيض بدلالاته السلبية من خلال تمثله في لـــون الشـــعر، لمـــا يـــوحي بالشـــيخوخة والتقـــدم في العمر، ويستخدم اللون الأسود لوصف شعر المرأة وعينيها، وجعل الليـــل محـــلاً للـــؤنس والســـمر، ومقابلة المحبوبة.

كما استخدم اللون الأسود بدلالاته الســـلبية للتعـــبير عـــن الكآبـــة والحـــزن والخـــوف والفناء والتشاؤم والفراق، ويستخدم اللون الأحمر للتعبير عن جمـــال المحبوبـــة مـــن خـــلال وصـــف الشفاه والخدود والحياء، كما استخدم اللون الأحمر بدلالاته الســـلبية للإيحـــاء بـــالخوف والقســـوة من خلال وصفه لنتائج الحروب، ويستخدم اللون الأخضر مـــن خـــلال دمجـــه بـــاللون الأزرق لمـــا يوحي به هذان اللونان من الجمال، والإحساس بالحياة والنمـــو والتفـــاؤل، وكـــذلك مـــن خـــلال وصفه للطبيعة الخضراء وتذكر المحبوبة.

ويستخدم اللون الأزرق من خلال وصف عيون محبوبته الزرقاء الـــتي تشـــبه لـــون ميـــاه البحر، ويستخدم اللون الأصفر للتعبير عن البهجـــة والجمـــال، كمـــا اســـتخدم اللـــون الأصـــفر بدلالاته السلبية للتعبير عن الإعياء والحزن والذبول والكسل والموت.

Abstract

The study aimed to identify the connotations of color in Khalil Mutran's romantic poetry, and the study included an introduction consisting of the study subject and the reasons for choosing it, previous studies, the importance of the study, study objectives, study method, study limits, and study plan, and the first chapter contained Khalil Mutran's life and position Literary and scientific through the life of the poet Khalil Mutran, Khalil Mutran's literary and scientific status, and his influence on the ancient inherited in his poetry, Khalil Mutran's poetic doctrine and features of its renewal, The second chapter includes color, its contexts and artistic image in Khalil Mutran's romantic poetry through the concept of color, color between poetry and painting, color contexts in Khalil Mutran's romantic poetry, the artistic image in Khalil Mutran's romantic poetry, and the third chapter included the connotations of color in Khalil Mutran's romantic poetry. Through colors and their significance in the Arab heritage, individual and collective color connotations, color connotations in Khalil Mutran's romantic poetry, and finally the conclusion in which the researcher presented the study's findings of color connotations in Khalil Mutran's romantic poetry.

Key words: Color connotations, Khalil Mutran's romantic poetry

مـــقـــدمـــة:

اهتم الشعراء بالألوان وتفاوتوا في درجة اهتمـــامهم بهـــا، كمـــا تفـــاوتوا في مقـــدرتهم على توظيفها توظيفًا فنيًّا، ويمكن القول – دون مبالغة – إنه لم يخرج عن ذلـــك شـــاعر مـــن قـــديم أو حديث، ولقد تنوعت وتعددت الدراسات التي اهتمت بدراسته بوصـــفه مـــادة أدبيـــة، إذ يعـــد اللون واحدًا من أهم الركائز الأساسية المعبرة عن المجال، ومن أهم خصـــائص الحيـــاة البشـــرية الـــتي استحوذت على اهتمام الإنسان باللون منذ القدم، فهو يثير فيه المتعة والراحـــة وتفـــتح أمامـــه آفاقًـــا جديدة، إذ تعد الألوان عالمًا واسعًا لا يقف عنده وصـــف واصـــف أو نظـــم نـــاظم، فـــلا يمكـــن الإحاطة به ووضعه في دائرة محددة، فاللون مكون أساسي مـــن مكونـــات الحيـــاة الـــتي لا يمكـــن الاستغناء عنها.

ويكشف اللون في شعر خليل مطران عـــن وعـــي الشـــاعر بالطاقـــات الهائلـــة الـــتي يحملها اللون وتوضيح الوظيفة الفنية للون في الصورة الشـــعرية، وقـــد اعتمـــد المنـــهج الســـيميائي الذي يهتم بدراسة العلامات لما يمثله اللون من علامـــة أو رمـــز، فـــاللون لغـــة تحمـــل إيحـــاءات ودلالات قابلة للتحول من سياق لآخر.

ولاحظت الباحثة عند تتبعها لشعر خليل مطران الرومانسي على وجه الخصوص حضور اللون بصورة مكثفة، حيث لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد الشاعر من حضور للون بارز وملحوظ، مما يـــدل على أن الشاعر يدرك أهمية استخدام الألوان وتوظيفها في قصائده، حيث إنها أصبحت ظاهرة بـــارزة في شعره، ولذلك كان من الضروري دراسة هذه الظاهرة وتتبعها والكشف عن المؤثرات التي كانـــت وراء الظهور.

ولد الشاعر "خليل عبده مطران" في لبنان عام (١٨٧٢) لأب عربي مسيحي كاثوليكي، وأمه (ملكة الصباغ) لم تكن لبنانية الأصل، بل كانت فلسطينية، حيث هاجر أبوها إلى لبنان فرارًا من اضطهاد الحاكم العثماني له في بلده، واتخذها وطنًا، وعنها ورث ابنها الشعر، إذ كانت أمها شاعره، أمـــا هـــي فكانت حصيفة راجحة العقل[1].

ويستهوي خليل مطران الجمال كيفمـــا كـــان وأينمـــا وجـــد في مجـــال الطبيعـــة، أو مفاتن الحسان، أو بدائع الألحان، وقد نظم قصيدة (المـــرأة النـــاظرة) وهـــو في الثانيـــة والعشـــرين

من عمره يقول: كنت في حديقة الجيزة أصيل ريح هبت فيه ريح السموم، فرأيت فتاة حسناء تنظر في عيني أمها، وتصلح شعرها، ثم بدأت القصيدة بقوله:

تأثر خليل مطران بالثقافة العربية التي تضم ألوانًا شتى من المعارف الإسلامية نماها بالعلوم الحديثة، وكان خليل مطران يعرف العربية والفرنسية ويلم بالإنجليزية والتركية إلمامًا طفيفًا.

وقد عكف على دراسة الفرنسية وآدابها، مما أتاح له الوقوف على الثقافة الفرنسية عن قرب، ومتابعة المرسح الفرنسي، ومراقبة نشاطه الفني، والاتصال بكبار الأدباء الفرنسيين، وقد أعجب بالأدباء الرمانتيكيين أمثال (فيكتور هيجو)، و(الفرد دي موسيه) الذي ترجم لياليه كلية مايو وايلة أكتوبر، كما كان يُعجب بالأدباء الكلاسيكيين أمثال (راسين، وكورني).

وبدون مبالغة فإن خليل مطران هو صاحب التجديد للشعر العربي الحديث موضوعًا ومضمونًا وشكلاً، بعد أن قام البارودي في ريادة الإحياء والبعث للأدب العربي في العصر الحديث، قام خليل مطران بريادة التجديد وإلباس القصيدة العربية ثوبًا جديدًا وروحًا جديدًا تلائم ثقافة العصر وتقدمه، وكل هذا نتيجة لثقافته الواسعة في التراث العربي الأصيل والغربي الدخيل، وثقافة العصر الذي عاش فيه وبما فيه من مجريات وأحداث وتطورات، إضافة إلى ذاته الشعورية ومجموعة ملكاته العقلية والنفسية.

ويلاحظ أن خليل مطران رغم تجديده في الشعر العربي لم يخرج عن المعاني الدال عليها الشعر القديم على وجه العموم، والذي حدده قدامه بن جعفر في (نقد الشعر والشعراء) من المديح والهجاء والنسب والمراثي والوصف والتشبيه[٢]، بل قام بتجديده وتطويره وإلباسه ثوباً جديداً كما مر فيما سبق حول ما جدده مطران في الشعر العربي.

الألوان ودلالتها في التراث العربي:

الدلالة في العربية هي: دل على شيء يدله دلاًّ ودلالة فاندل سدده إليه، والدليل: ما يستدل به، والدليل: الدال وقد دله على الطريق يدله ودلالة ودلولة والفتح أولى[٣].

ولعل الدلالة فرع من فروع علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى[٤]، وهو علم يدرس دلالات الألفاظ وتطورها، وتعبر كل نظرية فيه عن زاوية مناسبة تتم دراستها، فالذين يعنون بالجانب النظري منه يضمنونه نظرية المعنى والعلاقة بين اللفظ والمعنى، والدال

والمدلول، والرمز والشيء، والذين يعنون بالجانب التطبيقي الحديث يلجون فيه على عناصر التطور(٥).

وعرف الأصوليون الدلالة بأنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والشيء الثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علم الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص".

أما البلاغيون فقد عرفوا الدلالة بأنها: "كون اللفظ متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له"(٦).

أما بالنسبة إلى دلالة الألوان فهي عميقة الجذور تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة، وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، وبالنظر إلى دلالة الألوان بكونها متغيرة بتغير المؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية يدلنا على ثبات كثير من الأحكام الصادرة عن دلالاتها، لأن بعض الدلالات تتغير بتغير الظروف والزمن، وتأثير اللون قد يتغير بتغير الحالة النفسية للشخص الواحد، فللون قدرة على الكشف عن شخصية الإنسان، لأن كل لون من الألوان يتعلق بمفهومات معينة، ويمتلك دلالات خاصة، وأكثر الألوان استقرارًا ووضوحًا في دلالته ما يلي:

١. **اللون الأسود:** وهو أكثر الألوان هيمنة على حياة البشر، فهو رمز الحزن والموت، ويدل على الخوف والقلق والهم، ومن دلالات اللون الأسود التشاؤم والخوف من المجهول والميل إلى التكتم، وهو رمز لخيبة الأمل، وأحيانًا يرمز إلى الحكمة والوقار.
٢. **اللون الأبيض:** يحتل اللون الأبيض المرتبة الثانية بعد الأسود حسب تميز الألوان عند الشعوب المختلفة، ويعتبر من الألوان الباردة التي تثير الهدوء(٧)، ويعطي اللون الأبيض دلالات الصفاء والنقاء والهدوء والأمل والبراءة والصدق والأمانة، ويدل اللون الأبيض على الانطلاق والإشعاع، وفيه دلالة على البساطة وعدم التقيد والتكلف، واللون الأبيض رمز العفة والسلام، وأحيانًا يرمز إلى الاستسلام.
٣. **اللون الأحمر:** وهو من الألوان الساخنة الممتدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة(٨)، واللون الأحمر لون القوة والنشاط والحيوية، ولون الفرح والسعادة، ولون الحب والعشق، وأحيانًا يرمز إلى القتال والعنف.

٤. **اللون الأصفر**: وهو أحد الألوان الساخنة التي تمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء واهمية الحرارة والحياة والنشاط والغيظة والسرور[٩]، ويدل اللون الأصفر على حدة الذكاء والعقل، ويدل أحيانًا على الذبول والشحوب والجفاف والمرض، واللون الأصفر فيه جذب للانتباه.

٥. **اللون الأخضر**: يعد اللون الأخضر من أكثر الألوان وضوحًا واستقرارًا في دلالته، وهو من الألوان المحببة ذات الإيجارات المبهمة لارتباطه بأشياء مهمة في الطبيعة كالنباتات والأحجار الكريمة، ثم جاءت المعتقدات الدينية وغذت هذا الاعتقاد لارتباطه بالخصب والشباب وهما مبعث فرحة الإنسان[١٠]، واللون الأخضر هو لون الحياة والسرور والحركة، ويدل على السلام والأمان والتفاؤل، وهو لون الربيع والطبيعة الحية والحدائق والأشجار، فهو تعبير عن الحياة والخصب والنماء، ويدل أيضًا على التجديد والنمو والشباب، يقال: "شاب أخضر للدلالة على بداية الشباب"، واللون الأخضر فيه دلالة على البراءة، حيث يقال: "قلب أخضر دلالة على البراءة".

دلالات اللون في شعر خليل مطران الرومانسي:

اختلفت نسبة ذكر كل لون في شعر خليل مطران الرومانسي، وتحدد هذه الدراسة ذلك كما يوضحه الجدول التالي:

جدول (١)

اللون ومرات حضوره ونسبته في شعر خليل مطران الرومانسي

م	اللون	مرات الحضور	النسبة(%)	التحليل
١	**الأسود**	٤٦	%٣١,١	**كثر حضور هذا اللون لأنه مرتبط بالغزل عند خليل مطران، بسواد الشعر للدلالة على الشباب، وسواد العيوان، والليل للعاشقين، ويكون كذلك مدعاة للفراق والتشاؤم.**
٢	**الأبيض**	٤١	%٢٧,٧	يحتل اللون الأبيض المركز الثاني عند خليل مطران ليدل على جمال محبوبته ببياض الوجه وكرم النسب والخوف من بياض الشعر، لأنه عدو التشبب والتصابي والغزل.
٣	**الأحمر**	٢٥	%١٦,٩	اللون الأحمر ومشتقاته من أهم الألوان عند خليل مطران في وصف المرأة في لباسها وحيائها كناية عن توريد خديها، فالأحمر عنده يدل على الحياء والتجدد والألفة.
٤	**الأخضر**	٢١	%١٤,٢	يرتبط اللون الأخضر عند خليل مطران بالنماء ورغد العيش والسلام وبهجة المرأة بخضابها، لأن الخضاب مرتبط بالمناسبات السعيدة

م	اللون	مرات الحضور	النسبة(%)	التحليل
٥	الأزرق	١٠	%٦,٧	**يدل هذا اللون عند خليل مطران على وصف عيون محبوبته الزرقاء كزرقة الماء، وهذا يدل على إعجابه الشديد بها اللون وعشقه له.**
٦	الأصفر	٥	%٣,٤	دلالة اللون الأصفر على نفس خليل مطران يدل على إعجابه بهذا اللون الذي يدل على الشباب والإشراق.

١. دلالات اللون الأبيض:

اللون الأبيض موصول بالتصوير الشعري للمرأة، لأن هذا اللون مرتبط بالإشراق والحب ونقاء العرض والأصالة والطهر، وهذا اللون من ألصق ما يكون بالمرأة والحديث عنها، وربما يكون مرجع ذلك لما يحويه من خواص الإبهار، وجذب الأنظار، فضلاً عما يضيفه من دلائل الطهر والنقاء والعراقة والأصالة، فهذه الأمور مجتمعة قد هيأت لهذا اللون طبيعة نورانية تناسب المرأة، خاصة إذا كانت محبوبة معشوقة(١١)، ويعتبر اللون الأبيض من أكثر الألوان ورودًا في شعر خليل مطران الرومانسي، وبهذا رسم خليل مطران المرأة التي أحبها وعشقها، حيث يصف الشاعر محبوبته بأنها بيضاء، مما يجعل الصدر ينشرح لرؤيتها موحياً بالجمال كالرجاء والتمني، حيث يرى أن لونها الأبيض البراق هام في حبه الهواء لشدة جماله، فيقول:

خلقت بيضاء كالرجاء فهام في حبك النسيم(١٢)

ويصف الشاعر محبوبته بالطير الأبيض الذي يحلق في السماء ليلاً وحوله النجوم عائمة، فيقول:

تتناغى بيض من الطير فيه سابحات وتحتها النجم عائم(١٣)

ويربط الشاعر اللون الأبيض ببياض حبيبته ومعشوقته، للدلالة على أن بياضها أنقى وأنصع من بياض العاج، وحمرة حيائها وخجلها تخفي هذا البياض كحجاب على بياض وجهها، فيقول:

بياض يغار العاج منه نقاوة ويحجبه لون الحياء كبرقع(١٤)

ويصف الشاعر بياض ملامح محبوبته التي يشع منه مواقع نور، دلالة على شدة البياض والجمال وحسن المظهر وجمال المنظر، فيقول:

تتراءى فيها ملامح بيض حيثما صودفت مواقع نور(١٥)

ويصفها أيضًا بأنها كتلة بيضاء دلالة على أن البياض يشمل جميع الجسد وليس الوجه فقط، بالإضافة إلى أن بياضها نفيس، فيقول:

كلته بيضاء والبياض أغلى ما بها(١٦)

ويمدح الشاعر محبوبته في شعره الرومانسي بأن محاسنها ومفاتنها كتبت بأنها بيضاء، وفي ذلك دلالة على الجمال والهيبة واتساق القوام فيقول:

وتنزلت أحكامه في لوحها مكتوبة آياتها بيضاء(١٧)

ويُسأل الشاعر خليل مطران أن طيف محبوبته رغم أنها في مكان بعيد عنه إلا أن بياضها يضيء حياته، فيقول:

سل طيف جلجلة وقد ترك الطوى منه ضياء في بياض إزار(١٨)

ويصف الشاعر محبوبته عندما تظهر بالبياض الناصع، وفي ذلك دلالة على شدة جمالها وحسن مظهرها، فيقول:

وترائيك بالبياض حيثما وردك الدمام(١٩)

ويصف الشاعر المحبوبة بأنها سواء كانت بيضاء أو سمراء فأن محاسنها بيضاء شديدة الجفاف ظاهرة الرونق غالية القيمة، وفي ذلك على شدة بياضها وجمالها، فيقول:

بيضاء سمراء صيغت في صورة من عاج(٢٠)

ويصف الشاعر معشوقته بأنها حتى إذا أنجلى منها البياض فهي كالشمس الساطعة المنورة التي تضئ ما حولها، فيقول:

إذا ما ترديت البياض لتنجلي فكالشمس يجلوها الصباح لتسطعا(٢١)

ويصف الشاعر خليل مطران بياض محبوبته بأنه يشبه سرب الحمام الذي يحلق في السماء العالية بشكل مجنح منتظم، فيقول:

بيض مجنحة خفا في شبه سرب من حمام(٢٢)

ويصف الشاعر بياض محبوبته بأنه مثل الشهاب الذي يسقط من السماء عند رؤيتها بعد ما كانت متخفية، فيقول:

ويتضحى الخفي إذا كررنا كبيض الشهيب طاع من اصطلامها(٢٣)

ويصف الشاعر بياض الأسنان للدلالة على لمعانها وسلامتها وجمالها وطيب رائحة الفم عندما تبتسم، حيث يقول:

حجارتها ضحاكة عن بياضها وأجرها عن حمرة يتبسم(٢٤)

ويستمر الشاعر في وصفه للمحبوبة دون ذكر اسمها بذكر صفاتها بأنها شفافة مما يجعل الصدر ينشرح لرؤيتها موحيًا بالجمال وعذوبة الروح، فيقول:

قالت السوسنة البيضاء شفافاً سناها عن سماحة(٢٥)

وجاء اللون الأبيض في سياق المدح للدلالة على الكرم والشجاعة والأخلاق الفاضلة والمنزلة العالية وشرف النسب ونقاء العرض، ويمدح الشاعر بياض الوجه، فيقول:

وافي عبوس الوجه والفنجان ضحك البياض يثور منه الدخان(٢٦)

ويصف أيضًا بياض الوجه الذي ترتوى منه عيونه عندما ينظر إلى محبوبته، فيقول:

زنبق ناصع البياض نقي ترتوي من بياضه العينان(٢٧)

ويصف الشاعر خليل مطران جبهة محبوبته باللون الأبيض الزاهي المتناسق، وفي ذلك دلالة على شدة البياض وحسن المنظر، فيقول:

قلدت جبهتها في نسق زاهي البياض تاج قطن(٢٨)

ويصف الشاعر جمال محبوبته كالزينة البيضاء المبهجة المشرقة التي تضيء فتبهج من حولها، فيقول:

بسمت ذؤابته وما زان الربى في هامها كالحلية البيضاء(٢٩)

ويصف الشاعر محبوبته البيضاء الشفافة المضيئة بخصالها المتأصلة فيها من عفاف وصفاء وخشوع، فيقول:

حبذا الأبيض شفاف السنا عن عفاف وصفاء وخشوع(٣٠)

ويربط اللون الأبيض بالروح، وذلك للدلالة على أن الجسم فاني وأن ما يبقى من الإنسان هو الروح بعد تغيير ملامح الوجه نظراً للتقدم في العمر، فيقول:

قام في حلة البياض فكانت ثوب روح لاثوب جسم فاني(٣١)

ويقول أيضًا:

إن ابتساما لاح منها عندما جاءت بهذي الحلة البيضاء(٣٢)

ويقول مفتخرًا بعقلها الناضج الراجح وحسن جمالها:

في النهى سمرها التي اشتبكت والبيض مشهورها ومغمدها(٣٣)

وينتقل خليل مطران ليصف محبوبته بمزيد من الأوصاف الجذابة، قارنًا بذلك اللون الأبيض، مستوفيًا من الطبيعة تشبيهاته، مما يدل على مترفة تتمتع بالعناية وحسن الرعاية مهتمة بجمالها، فيقول:

في الليل يستنبت زهر المنى وتجتلي البيض من الزهر(٣٤)

ويصف الشاعر الأيام التي قضاها مع المحبوبة بأنها بيضاء تدفعه للتغلب على الأيام السوده التي يعيشها بعيدًا عنها، وفي ذلك دلالة على أنها أثرت قلبه وتملكت جوارحه، فيقول:

بيض الأيام خير ما أسلفته دفعاً لأفات الليالي السود(٣٥)

وينقل الشاعر خليل مطران اللون الأبيض إلى أجواء سلبية للدلالة على الضعف والوهن والعجز وكبر السن، وذلك في سياق الشيب وكبر الشباب باعتباره ضعفًا ودنوا للأجل، وطبقًا لهذا التفسير يكون سواد الشعر حياة وبياضه شيخوخة وهرمًا، فيقول:

ورد بياض المشيب ثنا ءك أجلى بهاء وقد طهرا(٣٦)

وقد يكون بياض الشعر علامة على شدة الأهوال والشدائد التي قابلها الإنسان في حياته، فيقول:

سرعان ما حطما الرما ح فأعملا بيض البواتر(٣٧)

ويأتي اللون الأبيض في سياق وصف الطبيعة للدلالة على جمال المظهر وحسن المنظر، لما يثيره هذا اللون في الإنسان من شعوره بالهدوء والراحة والبهجة والسعادة، حيث يصفها بأنها طاقة من النهر بها آيات مروعة، فيقول:

هي طاقات من الزهر لها في اليد البيضاء آيات تروع(٣٨)

ويحاول الشاعر العبور من الخيال إلى ما يشبه الحقيقة فهو يستمتع بشرب الخمر والمسكرات في جميع أحواله، مما يؤثر عليه نفسياً وجسدياً، فتأتي محبوبته لتداويه وتقف بجانبه، وفي ذلك دلالة على التمتع برؤية يديها البيضاء الحسناء فيقول:

وباليد البيضاء تبني الذي يهدمه الإدمان والمسكر(٣٩)

ويقول أيضًا:

ذيدت عن الركن لم تلمم به يدها فأقبلت بيضاء العين تستلم(٤٠)

ويستخدم الشاعر لفظة يد لأن اليد هي التي تبذل الجود حتى في ساعات الفقر والشدة، ويصاحبها نضارة الوجه، ليدل هذا البريق على ما اعتاده من المحبوبة من العطاء والكرم والبذل ليكون اللون الأبيض رمزًا لهذه الصورة ودالاً عليها، فيقول:

وأزكى العوارف بيض الأيا دي تجود بهن ذوات الحفر(٤١)

وينتقل الشاعر إلى دلالة من دلالات اللون الأبيض، فهو رمز للقوة والجبروت وشدة البأس، فيقول:

تهون لدى مضاربها جراح البيض والسمر(٤٢)

ويقول أيضًا:

عال ذراه يلوح فوق بياضها جمر الغمائم من خلال رماد(٤٣)

وقد وظف الشاعر اللون الأبيض في شعره الرومانسي في وصف محبوبته للدلالة على شدة جالها وحسن مظهرها، بالإضافة إلى الانشراح والبهجة والنقاء والقوة والوضوح وصفاء السريرة ونقاء الغرض وحسن النية، ومن ثم أدى اللون الأبيض دورًا كبيرًا في بناء الصورة عند خليل مطران، فقد اختاره ليبين حال محبوبته في ضيائها، وبالتالي وظف الشاعر خليل مطران اللون لخدمة صورته الشعرية وجمالها.

٢. دلالات اللون الأسود:

استخدامات هذا اللون عديدة ومتنوعة، ودلالات اللون الأسود النفسية كثيرة، ونجد هذا عند خليل مطران فهو محبب في الشعر والعين، ويدل على الشباب والقوة واللمعان، وفي بعض الأحيان يدل على الحزن والتشاؤم والفراق والحسد.

وقد ورد اللون الأسود في سياق الغزل للدلالة على جمال المرأة، وجاء وصفًا لشعرها وللعيون الحوراء والدعجاء، وهي التي أشتد سوادها وبياضها، وبذلك يربط الشاعر السواد بطبائع الحسن والجمال من ناحية وطبائع المتعة الحسية من ناحية أخرى(٤٤).

ويربط الشاعر خليل مطران اللون الأسود بالشعر الأسود ليدل بهذا على حب المرأة للشباب المتمثل في الشعر الأسود، وهذا يعبر عن مرحلة الصبا والشباب، وما يتخللها من مغامرات الحب، فشبابها وفتوتها يمثلان إغراء يدفع المرأة إلى التقرب منه، وفي الوقت نفسه يكون سواد شعر محبوبته إعلانًا عن فتنتها التي تشده إليها وتغريه بها، فيقول:

لها شعر كالليل يجلو سواده بياض نهار يبهر المتوسما(٤٥)

ويصف خليل مطران محبوبته بأن عيونها سوداء، ليدل على نقاء عروبتها وجمال عينيها، فالسواد قد أعطى محبوبته جمالاً مع بياض حواجرها، فيقول:

وعينان سوداوان ينهل منهما ضياه كمسكوب الرحيق المشعشع(٤٦)

والغزل عنده مرتبط بالعيون السود مع شدة بياضها، فهو يصف عين محبوبته عند إطلالها بالنور في الليلة الظلماء، ويرسم صورة جميلة للمرأة التي أشتد سواد عينيها مع بياضها، فهي فاتنة، لو برزت لراهب لأغوته وألهته عن صومعته ولهام بها حبًّا وعشقًا، وبذلك يربط الشاعر السواد بطبائع الحسن والجمال من ناحية، وطبائع المتعة الحسية من ناحية أخرى، فيقول:

كيف تحظى بالنور عين إذا لم يتكامل بياضها بالسواد(٤٧)

ويصف الشاعر شوقه إلى سواد عيون محبوبته، مما يجعلها يتذكرها أمامه في كل وقت، وكأنه مبصر بها، وفي ذلك دلالة على الشوق والمحبة، فيقول:

حلت سرائرهم سواد عيونهم شوقاً إليك فثرن في الأبصار(٤٨)

ويصف الشاعر ابتعاد وهجر محبوبته عنه ذات العيون السوداء التي تبدو من جمالها كأنها مرسومة، فيقول:

يامن نأوا عن عيوني ورسمهم في السواد(٤٩)

ويقول أيضًا:

وعيوني لا تهجر الطرس إلا وسواد السطور بعض سوادي(٥٠)

ويصف الشاعر عيون محبوبته التي يسهر لها الليالي يتذكرها بأن جمالها بسواد الليل، فيقول:

سهرت عيونكما على إتقانها فمن السطور بها سواد لليالي(٥١)

ويذكر خليل مطران أن سواد الليل ستر للسماء والعاشقين بعيدًا عن عيون الحساد، فالليل وسواده يدل على شدة الشوق لمحبوبته، للدلالة على التعبير عن شدة جمال عينيها وشدة بياضها مع سواد محاجرها، فيقول:

شأني مكافحة الخطوب إذا رجا نفع الحوادث في الليالي السود(٥٢)

وينتقل خليل مطران إلى اللون الأسود في ملابس محبوبته، للدلالة على شدة جمالها عند ارتداء اللون الأسود، ومن خلال ثنائية اللونين الأحمر والأسود والتأثير النفسي لهما يحاول خليل مطران أن يظهر براعته في الجمع بين اللونين المتناقضين لرسم صورة جمالية رائعة، فيقول:

سود الملابس كالدجى حمر المحاجر كالدماء(٥٣)

ويصف خليل مطران أيضًا ملابس محبوبته بأنها تقتني اللون الأسود منها، وفي ذلك دلالة على جمال اللون الأسود عندما ترتدية محبوبته بيضاء اللون في الليل فيضيء وجهها ويصبح كالقمر في الظلام، فيقول:

تختال فى أثوابها السوداء عن قطعة تمشي من الظلماء(٥٤)

كما يصف الشاعر محبوبته بالبدر في تمامه عندما ترتدي محبوبته الملابس السوداء، وفي ذلك دلالة على تشبيه وجه محبوبته بالبياض في الليلة المقمرة من وسط الشهر، فيقول:

وأن تؤثري سود المطارف ملبساً فالبدر يختار الليالي مطلعًا(٥٥)

ويصف الشاعر محبوبته عندما خلعت الملابس السوداء، وأصبحت كالضوء اللامع من شدة بياضها وجمالها، للدلالة على شدة جمالها وبياضها وحسن صنيعها، فيقول:

خلعت حلة السواد ولاحت في دثار من باهر الآلاء(٥٦)

ويصف الشاعر محبوبته بأنها تشبه الجارية البيضاء في ملبسها المزين الأسود الشفاف، فيقول:

أشبه بالجارية الغراء في حلة شفافة سوداء(٥٧)

ويصف الشاعر حاله قبل أن يرى محبوبته بأنه كان شبه الأموات يعيش بلا روح ولا معنى ولا هدف، للدلالة على عشقه وحبه الشديد لها، فيقول:

أرابني أنني قبلا بصرت به محنطاً مدرجاً في سود أكفان(٥٨)

يصف الشاعر خليل مطران محبوبته بأنها عندما ترى شيء ما غير سار فيكون في أحسن وأبهى صورة، للدلالة على أن ما تنظر إليه محبوبته تزينه، وتجعله مضيء مشرق حتى لو كان غير مضيء، فيقول:

أي بنات الماء غبن بين أن ترى سواد أو ما أبهاك شمقرا(٥٩)

ويصف الشاعر أن ضوء محبوبته يحس حتى في آخر الليلة السوداء ويمكن أن تراه، وفي ذلك دلالة على شدة جمالها وحسن مظهرها، فيقول:

قال أمرؤ من سامعي ضوضائها وشهود تلك الجهمة السوداء(٦٠)

ويصف الشاعر خليل مطران الأشعة التي تنفذ من محبوبته بأنها تدفق بقوة مثل تدفق السيول، للدلالة على شدة ضيائها والنور الذي يشع من وجهها، فيقول:

فيها الأشعة قد دفقن بقوة دفق السيول من المداد الأسود(٦١)

ويحمل اللون الأسود دلالات سلبية تتمثل في معان نفسية كالحقد والشر والمهانة وتدني المترلة وفساد الأخلاق، ويصف الشاعر تدني مترلة صاحبهم إذا ظل حيًّا فإنه سيكون رهينة للنوم الخفيف، حيث لا يجد مكانًا للراحة والاسترخاء، فيقول:

لو عاش صاحبهم لعاش رهينة من بعدها للهجعة السوداء(٦٢)

ويصف الشاعر خليل مطران فساد الأخلاق باللون الأسود، وفي ذلك دلالة على كرهه الشديد ورفضه التام للأخلاق الرذيلة، ويرى أن ما في ما بداخلهم لبعضهم البعض مذل ومشين، فيقول:

أيكون منا كل حر سائد وسوادنا يبقى أذل سواد(٦٣)

ويجمع الشاعر بين لونين متناقضين وهما الأسود والأبيض وفي ذلك دلالة على أهمية هذه الثنائية في الصورة الجمالية، وذلك من خلال رسم الصورة في طيات النص الشعري وإعطائها أبعاد جمالية وإيحاءات دلالية من خلال ما تبعثه في النفس، ويصف الشاعر خليل مطران اللون الأسود بالمكر، حيث أن المحبوبة دائماً ما تدفع الضلال عن محبوبها وتواجه هذا الخير بالمكر الذي يظهر في صورة بيضاء، فيقول:

وزن التي دفعت ضلالك بالهدى وسواد مكرك باليد البيضاء(٦٤)

ويصف الشاعر مرض محبوبته، للدلالة على الإعياء والعناء والتعب، ويشير إلى أنها وضعت رأسها فوق صدره من الإعياء الشديد، فيقول:

وألقت عياء رأسها فوق صدره فزان سواد الشعر أبيض نحره(٦٥)

كما يصف الشاعر أن شفاء محبوبته من الفرج والفرح بالنسبه له، وفي ذلك دلالة على الأخلاص الشديد والحب الوفير من الشاعر لمحبوبته، فيقول:

فمن الغيث أن تشف اللآلي وهي غراء عن نكات سود(٦٦)

ويصف الشاعر خليل مطران محبوبته بأن الإعياء قد كسرها واستنفذ كامل طاقتها، وجعلها غير قادرة على مواصلة الحياة، فيقول:

حتى غدت وهي كالظلال من انحلال ومن سواد(٦٧)

ويصف الشاعر هجران محبوبته وغيابها بأنه كالسواد الذي يحجب عنه النور، للدلالة على الفراق والبُعد والهجر، وهو بذلك يشاق إليها ويود التقرب منها والعيش بجوارها، فيقول:

فتغيب في سود من الحجب(٦٨)

ويربط الشاعر اللون الأسود بالحزن والوجد والبكاء على محبوبته، ومن ثم دل هذا اللون على الوجد المدمر في نفسه على محبوبته، فيقول:

لي فيك من جهة المنارة معهد ذهب الصبا وسناه ملء سوادي

إذا كنت مفترجي وكان يروعني نزق المياه وحلم كل جماد(٦٩)

ويصف الشاعر محبوبته بأنها تقف معه في حياته الكئيبة المليئة بالأوجاع، حيث تضمه إليها بحب وإشراق وتفاني من أجل التغلب على محنته والصمود مرة أخرى، للدلالة على التفاني، فيقول:

فلما رأتني أضالع سوداً يحيط سديم بها باهر(٧٠)

ويصف فراق الأحبة وضعنهم وارتحالهم من الديار، ويربط هذه المعاني بسفرة ظلمة الليل، فيقول:

كشف الفجر عن جنادل سود ضمها الغمر من بنات "ثبير"(٧١)

وفي موضع آخر يربط السواد بالفراق والرحيل، فيقول:

ومضيت تملؤه هوى حرا وتمنحه سوادك(٧٢)

ويصف خليل مطران أن الناس جميعًا لهم نفس الحظوظ ولهم نفس الدرجة عند الله، حيث لا يظلم الله أحد، فالحظوظ والأرزاق موزعة في الدنيا بالتساوي بين جميع البشر، فيقول:

وأتم النعماء أن كان فيه مثل حظ السراة حظ السواد(٧٣)

وفي سياق وصف الطبيعة يأتي اللون الأسود للدلالة على الخير والخصب والنماء وغزارة المياه، وهو دائمًا ما يكرر هذه الصورة بغزله بالمرأة ليدلل بهذا على الخير الذي تحمله الأنهار والمياه الغزيرة، فيقول:

أصبحت سود سعال ساقها سائق بوسعها حثًّا ونهرًا(٧٤)

ويصف الشاعر الطبيعة بأن الشمس تشرق بشفقه، وتغير لون الحجارة الحمراء إلى لون طفيف من الغبار الأسود، وهذا يدل على حبه للطبيعة الخلابة وربطها بالألوان في قصائده، فيقول:

والشمس في شفق يسيل نضارة فوق العقيق على ذرى سوداء(٧٥)

وقد استخدم خليل مطران اللون الأسود في كثير من قصائده، حيث تمثل اللون الأسود عنده في مستويين كما يلي:

١. **المستوى الأول:** من حيث دلالته الإيجابية التي تعبر عن نفسية الشاعر، حيث استخدم اللون السود استخدامًا مغايرًا للأشياء التي يكسبها هذا اللون جمالاً وروعة.

٢. **المستوى الثاني:** من حيث دلالته السلبية التي يدل عليها هذا اللون بصفة عامة متحكمًا في ذلك بصفته التي يحملها هذا اللون، وما يثيره في النفس من الإحساس بالخوف والفناء والكآبة.

وكان للشاعر خليل مطران دور كبير في التفنن في توظيفه لهذا اللون، وإعطائه الصورة الفنية، مما يدل على عبقريته وإجادته للوصف، ومعرفته بأهمية اللون، وما يبعثه في النفس من التأثير، ورسم الصورة الشعرية لدى المتلقي، ولعل العامل النفسي وما تفرضه الطبيعة على الشاعر بجميع مكوناتها وعناصرها، إضافة إلى ثقافة الشاعر واختلاطه بكثير من الثقافات وترحاله من بلد إلى آخر جعله يبدع في التصوير، ويأتي بما هو جديد وجذاب.

٣. دلالات اللون الأحمر:

اللون الأحمر من الألوان الشائعة، وله دلالات الحياة والحركة، فهو لون عاطفي يجسد الحب الملتهب، ومعاني التفاؤل والقوة والشباب، وكذلك لهذا اللون دلالة على العنف والشدة، وقد أكثر الشعراء من استخدامهم لهذا اللون نتيجة وعيهم الجمالي له، وتتباين دلالات اللون الأحمر بين دلالات الإيجاب ودلالات الجمال الأخاذ الذي يأسر الألباب، والألم والمشقة، والانتقام والغضب والعدوانية، كما يرتبط بالشفاه والخدود التي توحي بالشهوة والنشوة والبهجة والجمال(٧٦)، فحمرة الخد تعطي إلى جانب الوسامة والحسن والجمال علامة الصحة والنضارة من ناحية والحياء والخفارة من ناحية أخرى، فتجمع بذلك بين الجمال المادي والحسن الأخلاقي(٧٧)، وارتبط اللون الأحمر في شعر خليل مطران الرومانسي بمعاني عديدة حيث يتغنى بحمرة الوجنة فيقول:

وفي وجنتيها حمرة كاللظى علت محيته بالبشر الطليق وأغفلت(٧٨)

ويتغنى بحمرة الورد ويشبه حياة محبوبته بهذا الورد البديع الشكل والمظهر فيقول:

انظر الورد وسل حمرته هل محيا كمحياه البديع(٧٩)

ويدل باللون الأحمر على الحمرة، حيث يصفها بأنها حمراء ليضفي عليها سحرًا وجمالاً، ويبعث الشهوة ويؤججها في النفوس، فليتقط العلاقة اللونية بين خضرة واديه وحمرة شعبه، حيث يقول:

وأي جمال بين سمرة طوده وخضرة واديه وحمرة شعبه(٨٠)

ويصف الشاعر محبوبته بالابتسامه والنضارة فيقول:

إذا تدهها حمر الصواعق تبتسم فيها النضارة على لظى وقاد(٨١)

ويصف الشاعر مسكن محبوبته بالمنازل الحمراء الراقية للدلالة على شدة حبه لها فيقول:

وهذى المنازل الحمراء راقية معارج العلا(٨٢)

ويصف الشاعر محبوبته عندما تظهر في الظلام بأنها تبدو بين الحمرة التي يكسوها الاخضرار، فيقول:

أتبينت في العقيق حمرة شابها اخضرار(٨٣)

ويصف الشاعر الحلي على صدر محبوبته يزهى بأحمر مشبع لشدة توهجه فيقول:

والصدر فيما دونه يزهي بأحمر مشبع(٨٤)

وفي سياق الغزل وشكوى الهجر يأتي اللون الأحمر ممثلاً في الدموع للدلالة على صدق الحب وشدة العشق ولوعة الشوق والحزن على فراق المحبوب، فهو يبكي دمًا لا دموعًا، حيث يقول:

إليك بما ألم بنا وأجرى الأدمع الحمراء(٨٥)

ويقول أيضًا:

مرت خلال غمامتين تحدرا وتفطرت كالدمعة الحمراء(٨٦)

ويرتبط اللون الأحمر بدموعه للدلاله على شدة الحزن على فراق المحبوب، وبحمرة الجمر للدلالة على جمال المحبوب، فيقول:

روح سرور في شبه لؤلؤة ودمع فجر بحمرة الجمر(٨٧)

ويرتبط أيضًا اللون الأحمر بالنار للدلاله على شوقه ولهفته على فراق المحبوب، وبأحمر فاني للدلالة على اشتياقه الذي وصل منتهاه للمحبوب، فيقول:

سودتها وحزفها في مهجتي نارية كتبت بأحمر فاني(٨٨)

ويحمل اللون الأحمر دلالات العنف والقتل، وجاء وصف الدم باللون الأحمر للدلالة على الشجاعة والقوة وكثرة القتلى وإراقة الدماء، حيث يقول:

وتفويفه بنعال الجياد وتدبيحه بدم أحمرا(٨٩)

ويصف الشاعر لذة الوصل ونار الفراق للدلالة على حبه الشديد للمحبوب، فيقول:

وعرا الأعين الكلال فأنني نظرت حمرة رأت وقتاما(٩٠)

ويصف الشاعر محبوبته بأنها عندما عرفت أنه يحبها ذهبت بسرعة فائقة تخترق كل كشيء أمامها وتدفع بملابسها الحمراء للدلالة على حيائها منه، فيقول:

فانطلقت طائشة خرقاء تدفع من راياتها الحمراء(٩١)

ويربط الشاعر اللون الأحمر بالمرض من خلال ثبات العين المرتبط بالسقم والمرض الذي جعل لونها أحمر، حيث يشبه المحبوبة بأنها طفلة، فيقول:

وطفلة ما عربدت عينها لكن سقما لونها الأحمر(٩٢)

ويربط الشاعر اللون الأحمر بالتريف الداخلي للدلالة على الحب والعشق الذي أصابه من فراق المحبوب، فيقول:

وتحس نزف حشاشة مكلومة بمقاطر الياقوتة الحمراء(٩٣)

ويصف الشاعر اللون الأحمر بالحياء ويحث على فضله من خلال الابتعاد عن كل منكر قبيح فيقول:

فبت من حمرة الحياء لذلك المنكر الجسيم(٩٤)

ويقول أيضًا:

تلك حمرة الحياء من لم يذوقها مرة ليس بالحياء خليقًا(٩٥)

وقد وظف الشاعر اللون الأحمر في شعره الرومانسي في موضوعات الغزل وشكوى الهجر للدلالة على صدق الحب وشدة العشق ولوعة الشوق والحزن لفراق المحبوب، ومن ثم أدى اللون الأحمر دورًا كبيرًا في بناء الصورة عند خليل مطران، فقد اختاره ليبين حال الفراق والاجتماع، وحال المرأة في حيائها وخجلها وفي ضيائها، حيث وظف الشاعر خليل مطران اللون لخدمة صورته الشعرية وجمالها.

٤. دلالات اللون الأخضر:

اللون الأخضر هو لون الحياة والحركة والسرور، وهو دال على النماء والأمل والسلام، وهذا اللون في الفكر الديني رمز للخير والإيمان، وأنه أكثر شيوعًا في الروايات العربية والإسلامية، وهو يحقق السكينة في النفس، ويساعد الإنسان على الصبر، وقد استمد معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد(٩٦).

ويرتبط اللون الأخضر بوصف الرياض والأشجار والنباتات للدلالة على الخصب والخير والنماء والبهجة والسرور، خاصة حين يمتد هذا اللون ليغطي مساحة واسعة من سطح الأرض، فتبدو كأنها ترتدي وشاحاً أخضر اللون، حيث يقول:

تفيض على الأغوار در ثديها فترضع خضراء الرياض وترأم(٩٧)

وكذلك لم يكن أحب إلى العرب من اللون الأخضر في الصحراء المجدبة، وبقى هذا اللون أحب الألوان إليهم بعد تغيير بيئاتهم، وانتشارهم في بيئات جديدة، ويصف ذلك فيقول:

هذه الخضراء فيها أمل يبرئ النفس من الجرح الوجيع(٩٨)

ويصف خليل مطران اللون الأخضر ومحبته للنساء، للدلالة على تنعيمهن وثرائهن فيقول:

أخت الشوادي الخضر حا نت لفتة المتنوع(٩٩)

ويصف التغزل بمحبوبته وحليها، لأن من الدلالة على كمال الجمال أن تتزين المرأة، فاللون الأخضر يمنحها روح الشباب والأنوثة، فيقول:

في زينة لست تدري زرقاء أو خضراء(١٠٠)

كما يصف محبوبته وحليها، لأن من الدلالة على أظهار الجمال أن تتحلى المرأة بحليها، فيقول:

نمر بخضراء فتانة لها من زمردها منتقب(١٠١)

ويربط خليل مطران اللون الأخضر بدلالات البشاعة والتكدير بين الأحبة، فبعد أن كانت الحياة بينهما خضراء مزدهرة تحولت إلى صحراء جرداء، ولكن حبه ووفاؤه لا يتغير، فهو متجدد أخضر لا يمكن أن يصبح خالي الوفاض، فيقول:

وكيف صارت خضر الجنان من أزدها إلى بوار(١٠٢)

إن اللون عندما يتغير دلالة على الكبر وحضور الشيب، لأن الشيب لون غير محبب لدى النساء، فيقول:

يحيط بها دوحان شيخ معمر وأم عجوز القشر واللب أخضر(١٠٣)

ويربط خليل مطران اللون الأخضر بالعيش مع الحبيب، وفي ذلك دلالة على أن اللون الأخضر يعني الحياة والأمل، فيقول:

والدهر في أثنائه باسم والعيش في أفيائه أخضر(١٠٤)

ويصف خليل مطران الأسباب التي جعلته يتعلق بمحبوبته باللون الأخضر الناعم الأملس، فيقول:

تلك الرواعي كل أخضر ناعم من كل ناعمة الخطى ملساء(١٠٥)

ويربط الشاعر اللون الأخضر بسحر عيون محبوبته المكونة من نظام فريد لا يتمتع به أحد غيرها، وفي ذلك دلالة على عشقه وحبه ووفائه لها، فيقول:

ساحر بين زرقة واخضرار لب رائية بائتلاف فريد(١٠٦)

ويصف الشاعر اللون الأخضر بالأكاليل التي تضع جوار النخيل، فتصبح مضيئة حول الصدور، وفي ذلك دلالة على الحياء والنماء، فيقول:

عوالى النخيل خضر الأكاليل زواهي المرجان حول النحور(١٠٧)

وقد وظف الشاعر اللون الأخضر في شعره الرومانسي للدلالة على الأمل والنماء والصبر، ومن ثم أدى اللون الأخضر دورًا كبيرًا في بناء الصورة عند خليل مطران، فقد اختاره ليبين التنعم والثراء والتزين وإظهار الجمال، والعيش مع الحبيب، والعشق والحب، حيث وظف الشاعر خليل مطران اللون الأخضر لخدمة صورته الشعرية وجمالها.

٥. دلالات اللون الأزرق:

اللون الأزرق هو لون السماء والبحر، ويرتبط اللون الأزرق بالحرية والحدس والخيال والإلهام، ويرمز اللون الأزرق إلى العمق والثقة والولاء والإخلاص والحكمة والثقة والاستقرار والذكاء والإيمان والتقوى، واللون الأزرق له تأثير إيجابي على العقل والجسم،

ويساعد الجسم على إنتاج مواد كيميائية تُشعره بالهدوء، كما يُبطئ عمليّة الأيض، ويُساعد على التوازن والتعبير عن الذات، واللون الأزرق لون جذاب ويُعبر عن الفرح.

ويأتي اللون الأزرق في شعر خليل مطران للدلالة عن لون عيون محبوبته الزرقاء، فيقول:

وعينها الزرقاء تحسدها السماء(١٠٨)

ويصف الشاعر محبوبته وصفًا بليغًا متكامل الأركان من خلال وصف لون العين وبرد الصفاء وحمرة الخد وورد الحياء، فيقول:

وزرقة عيناها وبرد صفائها وحمرة خديها وورد حيائها(١٠٩)

ويربط الشاعر خليل مطران اللون الأزرق أيضًا بالعينين المكحلتين، للدلالة على أن عيون محبوبته لا تحتاج إلى كحل لأنها مكحلة بزراق اللون، فيقول:

ما بين جفنين شق هدبهما عن كحل فيه زرقة الكحل(١١٠)

ويشبه الشاعر عيون المحبوبة بالساحرة التي تتكون من نظام فريد لا هي زرقاء ولا خضراء، فيقول:

ساحر بين زرقة واخضرار لب رأيته بائتلاف فريد(١١١)

ونجد أن صورة عيون الفتاة المحبوبة تتكرر، وذلك للدلالة على شدة جمال عينيها وشدة بياضها مع سواد محاجرها، فيعبر عنها بأنها تشبه القبة الزرقاء، حيث يقول:

أترى التدبيح في ألوانها معقباً بين بيضها زرقا وعفرا(١١٢)

ويشبه الشاعر عيون محبوبته بأنها أصحبته لجمالها وأنها تشبه القبة الزرقاء، فيقول:

أصحبته والنجم نصب عيونه والشاو أوج القبة الزرقاء(١١٣)

ويربط الشاعر اللون الأزرق بالشاطئ عندما تكون موجوده عليه محبوبته وترتدي معطافها الأزرق، وفي ذلك دلالة على ارتباطه بمحبوبته وتشبيهه لها، فيقول:

يرنو إلى صفر الشواطئ نطقت أعطافها بالأرزاق الزخار(١١٤)

يربط الشاعر خليل مطران اللون الأزرق بالبحر ويصف حاله بأنه متعلق ومتشوق إلى محبوبته التي هي في البر، ويريد أن يرجع إليها مرة أخرى ويلتقي بها، وفي هذا دلالة على مقدار العشق والحب الذي يظهره الشاعره لمحبوبته، فيقول:

فالبحر بالأزرق إلى الربى والبر بالأوساق جاري المهاد(١١٥)

وقد وظف الشاعر اللون الأزرق في شعره الرومانسي للدلالة على لون عيون محبوبته الزرقاء، وأن عيون محبوبته مكحلة بزراق اللون، وفي ذلك دلالة على ارتباطه بمحبوبته وتشبيه لها، ومن ثم أدى اللون الأزرق دورًا كبيرًا في بناء الصورة الشعرية عند خليل مطران، فقد اختاره ليصف عيون محبوبته التي تشبه البحر، حيث وظف الشاعر خليل مطران اللون الأزرق لخدمة صورته الشعرية وجمالها.

٦. دلالات اللون الأصفر:

يتصل اللون الأصفر بمعاني الموت والذهاب والتلاشي والاضمحلال مرة، وبالبهجة ومجالس الخمر وجمال المرأة مرة أخرى، وهذا اللون من أشد الألوان فرحًا واكثرها أضاءة، لأنه لون الشمس، ويمثل قمة التوهج والنشاط والسرور، وقد استخدمه المصريون القدماء رمزًا لإله الشمس للوقاية من المرض، كما كان شعار بوذا ورجال الدين، وشعار الريع عند قدماء الألمان، ولون مقدس بالصين، وعند أوروبا المسيحية(١١٦).

وكذلك للون الأصفر دلالة على الحزن ودلالة الذبول والكسل والموت، وهذه الدلالات ترتبط بالخريف وموت الطبيعة والصحاري الجافة، وصفرة وجوه المرضى.

يربط الشاعر اللون الأصفر في سياق الشعر الرومانسي بدلالة الحزن والمرض والضعف والذبول للتعبير عن حالة العاشق، وما يعانيه من أحزان وآلام، ومن ثم بدلالات شدة العشق شحوبًا،

فالعاشق المكروب يدلل أصفرار وجهه وشحوبه على صدق عشقه ومدى فجيعته بالفراق[١١٧]، فالهم والغم يذكره بالمحب المكتئب المصفر الوجه، حيث يقول:

رأته فيها كثير عم يبدو على وجهه اصفرار[١١٨]

كما يرتبط اللون الأصفر بالغيرة والتنافس، فيرى أن نبات النرجس يعتريه أصفرار لشعوره بالغيرة من جفون العيون، حيث يقول:

وجفون من نرجس داخلتها صفرة الداء في محاجر عاني[١١٩]

ويحمل اللون الأصفر في سياق الشعر الرومانسي دلالة صفاء البشرة وإشراقها بالنور، الأمر الذي يضفي عليها مسحة جمالية، فاللون الذي تغنى به العرب ليس الأبيض الخال، بل إلى شاب بياضه شيء من الإصفرار أو الإحمرار، ويربط خليل مطران حمرة الخدين أحيانًا بلون الذهب الذي يشتمل على حمرة تعلوها صفرة، فيبدو يعلوه الندى، حيث يقول:

صفر الوجوه نادياً ياجباههم كالكلا اليابس يعلوه الندى[١٢٠]

ويأتي اللون الأصفر بلمعانه وبريقه للدلاله على البهجة والجمال والنشوء والسعادة، فيقوم سور ساطع حوله ينشر أعلامه الصفراء المكثفة، حيث يقول:

قام سور حول روما ساطع ناشر أعلامه كمثا وصفرا[١٢١]

ولون اليد صفراء الأمر الذي يدل على جمالها وشدة بريقها، حتى إنه تذوق المرارة لكي يقترب منها يوكون بجوارها، حيث يقول:

فتبينت صفراء يد وكنت مليها وتذوق كل مرارة الإفتار[١٢٢]

وبهذا يتضح لنا استخدام الشاعر خليل مطران اللوان الأصفر، وربطه بالغزل بالمرأة في دلالها ولباسها وبهاء طلتها.

يتضح إن دلالات اللون في شعر خليل مطران لها ارتباط وثيق ببيئته ونفسيته، ولكل لون طابعه الجمالي الذي يدل عليه، والألوان التي تتكرر في شعره هي: "الأبيض، الأسود، الأحمر، الأخضر، الأزرق، الأصفر"، وقد استخدم الشاعر خليل مطران في شعره الرومانسي اللون الأبيض رمزًا للجمال، واللون الأسود للدلالة على الخوف والحزن والفراق والخيبة، واللون الأحمر للدلالة على الحب والتعلق بالمحبوبة وكرهه لفراقها، واللون الأخضر

للدلالة على الحياة والنماء، واللون الأصفر للدلالة على الإشراق والظهور، ومن ثم استفاد الشاعر خليل مطران من دلالة اللون ووظفه في شعره، وفي تعبيره عن تجربته الشعرية، ورؤيته للحياة والمرأة.

كما يتضح أن اللون جاء في شعر خليل مطران كأداة للإفصاح عن مشاعره، وجاء تجسيداً لأفكاره، وقد استخدم اللون في مواقف مختلفة ودلالات حسب السياق الذي ترد فيه، فقد كان للمفردات اللونية العديد من الوظائف عنده، وكان مدركًا لوظيفة الألوان إدراكًا عميقًا، حيث انتزع الألوان من أشكالها الطبيعية ومزجها بعواطفه، وقدمها لنا بصورة صادقة مترجمة عن نفسه، فالألوان التي تصدر عن نفس الشاعر خليل مطران تكون أكثر تعبيرًا، وأكثر صدقًا في تفسير الألوان، حيث يعتبر الجمال المبطن أكثر روعة من الجمال الظاهر، وقد تميزت المشاهد التي تتضمن الألوان بغناها بالإيحاءات التي جعلتها متميزة، فقد عنى بتخير مفرداته المؤثرة التي جعلت من هذه المشاهد خاصة، ومن أعماله الشعرية عامة عالمًا يتفرد بذاته.

الخـــاتمـــة والنتـــائـــج

توصلت الدراسة إلى أن الشاعر خليل مطران كان يستخدم الألوان حسب ما توحي بـــه مـــن دلالات إيجابية أو سلبية في شعره الرومانسي على النحو التالي:

١. **اللون الأبيض:** استخدم الشاعر خليل مطران في شعره الرومانسي اللون الأبيض بدلالاته الإيجابية للتعبير عن الجمال ونقاء العرض، وصفاء السريرة، وذلك من خلال وصف المرأة بالبياض، كمـــا استخدم اللون الأبيض بدلالاته السلبية من خلال تمثله في لون الشعر، لما يوحي بالشيخوخة والتقـــدم في العمر.

٢. **اللـــون الأســـود:** اســـتخدم الشـــاعر خليـــل مطـــران في شـــعره الرومانســـي اللون الأسود بدلالتـــه الإيجابيـــة مـــن خـــلال وصـــف شـــعر المـــرأة وعينيهـــا، وجعـــل الليـــل محلا للؤنس والســـمر، ومقابلـــة المحبوبـــة، كمـــا اســـتخدم اللـــون الأســـود بدلالاتـــه الســـلبية للتعبير عن الكآبة والحزن والخوف والفناء والتشاؤم والفراق.

٣. **اللـــون الأحمـــر:** اســـتخدم الشـــاعر خليـــل مطـــران في شـــعره الرومانســـي اللون الأحمر بدلالاتـــه الإيجابيـــة للتعـــبير عـــن جمـــال المحبوبـــة مـــن خـــلال وصـــف الشـــفاه والخـــدود والحيـــاء، كمـــا اســـتخدم اللـــون الأحمـــر بدلالاتـــه الســـلبية للإيحـــاء بـــالخوف والقسوة من خلال وصفه لنتائج الحروب.

٤. **اللـــون الأخضـــر:** اســـتخدم الشـــاعر خليـــل مطـــران في شـــعره الرومانســـي اللون الأخضر بدلالتـــه الإيجابيـــة مـــن خـــلال دمجـــه بـــاللون الأزرق لمـــا يـــوحي بـــه هـــذان اللونان من الجمـــال، والإحســـاس بالحيـــاة والنمـــو والتفـــاؤل، وذلـــك مـــن خـــلال وصـــفه للطبيعة الخضراء وتذكر المحبوبة.

٥. **اللـــون الأزرق**: اســـتخدم الشـــاعر خليـــل مطـــران في شـــعره الرومانســـي اللون الأزرق بدلالته الإيجابية من خـــلال وصـــف عيـــون محبوبتـــه الزرقـــاء الـــتي تشـــبه لـــون مياه البحر.

٦- **اللون الأصفر**: استخدم الشـــاعر خليـــل مطـــران في شـــعره الرومانســـي اللـــون الأصفر بدلالته الإيجابية للتعبير عن البهجة والجمـــال، كمـــا اســـتخدم اللـــون الأصـــفر بدلالاتـــه السلبية للتعبير عن الإعياء والحزن والذبول والكسل والموت.

الهـــوامـــش

١) شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر. مرجع سابق، د.ت، ص١٢١.

٢) أبي الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تحقيق: محمـــد عبـــد المـــنعم خفـــاجي، القـــاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦، ص٨٠.

٣) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظر: لسان العرب. مرجع سابق، ص١١٥.

٤) جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغو والمـــرض العقلـــي. القـــاهرة: دار غريـــب للطباعـــة والنشر، ١٩٩٧، ص١٠٧.

٥) محمد علي الخولي: علم الدلالة. الأردن: دار الفلاح، ٢٠٠١، ص١٣.

٦) الشريف الجرجاني: التعريفات. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥، ص٩٣.

٧) عبد الوهاب شكري: الإضاءة المســـرحية. القـــاهرة: الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، ١٩٨٥، ص٨٥.

٨) أحمد مختار عمر: اللغة واللون. القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص٢٠١.

٩) عبد الوهاب شكري: الإضاءة المسرحية. مرجع سابق، ص٧٦.

١٠) أحمد مختار عمر: اللغة واللون. مرجع سابق، ص٢١٠.

١١) محمد عبد المطلب: شاعرية الألوان عند امرئ القـــيس. مجلـــة فصـــول، المجلـــد (٥)، العدد (٢)، ١٩٨٥، ص٦١.

١٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٣٧.

١٣) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٩٦.

١٤) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٠٤.

١٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٨٩.

١٦) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٥١.

١٧) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٣١.

١٨) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٣٨.

١٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٥٥.

٢٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣٣٢.

٢١) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٨٦.

٢٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢١٧.

٢٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١١٤.

٢٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٩٥.

٢٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣٠٠.

٢٦) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٥٤.

٢٧) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٥٦.

٢٨) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٩٩.

٢٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٤١.

٣٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٧٢.

٣١) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٥٧.

٣٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٢.

٣٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٩٦.

٣٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٣٨.

٣٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٢٥.

٣٦) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٧٤.

٣٧) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٥٧.

٣٨) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٧٢.

٣٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٧.

٤٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٦٢.

٤١) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٠٥.

٤٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٠٠.

٤٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١١١.

٤٤) عبد الحميد إبراهيم: قاموس الألوان عند العرب. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٢٥.

٤٥) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٤٦.

٤٦) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١١٦.

٤٧) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٦٠.

٤٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٤٥.

٤٩) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٧٤.

٥٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٣٦.

٥١) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٠٧.

٥٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٤٩.

٥٣) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٠٦.

٥٤) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٧٩.

٥٥) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٨٦.

٥٦) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣١٥.

٥٧) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٩٥.

٥٨) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٧٥.

٥٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٦٣.

٦٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٢.

٦١) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣٤٠.

٦٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٦.

٦٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٠٨.

٦٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٠.

٦٥) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٣٨.

٦٦) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٥٨.

٦٧) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٠٤.

٦٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢١٧.

٦٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١١٢.

٧٠) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٩٤.

٧١) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٨٩.

٧٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٠٢.

٧٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٦٠.

٧٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٦٢.

٧٥) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٥٢.

٧٦) أحمد مختار عمر: اللغة واللون. القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص٤٩.

٧٧) أحمد عبد الله محمد حمدان: دلالات الألوان في شعر نزار قباني. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، ٢٠٠٨، ص٥٢.

٧٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٣٧.

٧٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٧٢.

٨٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٩٩.

٨١) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٠٩.

٨٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٩٦.

٨٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٥٦.

٨٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٥.

٨٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٩٧.

٨٦) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٤٦.

٨٧) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٨٩.

٨٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٤٨.

٨٩) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٧٢.

٩٠) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٣٢.

٩١) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣٢.

٩٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٦.

٩٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٣٥.

٩٤) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٤٥.

٩٥) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٤٧.

٩٦) أحمد مختار عمر: اللغة واللون. مرجع سابق، ص٢١٠.

٩٧) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٢٩٤.

٩٨) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٧٢.

٩٩) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٥.

١٠٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص١٢.

١٠١) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٢.

١٠٢) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٠٤.

١٠٣) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٢٣.

١٠٤) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١٤.

١٠٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢١١.

١٠٦) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٤٠.

١٠٧) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص١٨٧.

١٠٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول ص٨٧.

١٠٩) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٩٣.

١١٠) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٣١٨.

١١١) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٤٠.

١١٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٦٣.

١١٣) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٨٤.

١١٤) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص٢٣٩.

١١٥) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٣٠٧.

١١٦) عيسى متقي زادة، وخاطرة أحمدي: دلالة الألوان في شعر المتنبي (إضاءات نقدية). العدد (١٥)، ٢٠١٤، ص٩٧.

١١٧) جمال زاهر، أسامة لطفي: الخطاب الشعري عند كشاجم الرملي، دار الغد للطبع والنشر، ٢٠١٩، ص١٢٢.

١١٨) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٦٢.

١١٩) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٥٦.

١٢٠) ديوان خليل مطران، الجزء الأول، ص١٠٤.

١٢١) ديوان خليل مطران، الجزء الثالث، ص٦٣.

١٢٢) ديوان خليل مطران، الجزء الثاني، ص٢٣٦.

المصـــادر والمـــراجع

أولا: المصـــادر:

خليل مطران: *الأعمال الشعرية الكاملة (الجزء الأول)*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩.

خليل مطران: *الأعمال الشعرية الكاملة (الجزء الثاني)*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩.

خليل مطران: *الأعمال الشعرية الكاملة (الجزء الثالث)*. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩.

ثانيًا: المراجع

أحمد مختار عمر: اللغة واللون. القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغو والمرض العقلي. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

الشريف الجرجاني: التعريفات. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥.

شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

عبد الوهاب شكري: الإضاءة المسرحية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٦.

أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظر: لسان العرب. بيروت: دار صادر، مادة (لون)، ١٩٩٥.

محمد عبد المطلب: شاعرية الألوان عند أمرئ القيس. مجلة فصول، المجلد (٥)، العدد (٢)، ١٩٨٥.

محمد علي الخولي: علم الدلالة. الأردن: دار الفلاح، ٢٠٠١.